

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثاني

1985

● من قضايا الفكر والعقيدة

● مذاهب بلا إسلام

● معارف إسلامية

● مخطوطات ليبية

● دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية

آدم

• الدكتور محمد بن الحاج •

هو آدم الاب الاول للجنس البشرى . وقد اختلف العلماء في معنى لفظة (آدم) على مذاهب ، أشهرها ان اللفظة مأخوذة من (أداما) أدامه العبرية ، ومعناها الأرض ، إشارة الى أصل آدم الذى أخذ منه ، ولذلك اعتبر هذا الاسم أعجميا معربا ، وهو (أفعل) أى وصف مشتق من الأدمة ، ممنوع من الصرف ، ويقول الكفوى «وأقرب أمره ان يكون على (فاعل) لاتفاقهم على أنه لو جمع ، فافعل جمعه آدم ، وأدمان).

لقب آدم بأبى البشر ، وأيضا بصفى الله .

وقد وردت اخبار طويلة في خلقه عليه السلام ، ثم فيما جرى له من احداث في الجنة الى أن اهبط هو وزوجه حواء من الجنة الى الارض ، ليبدأ رحلة البشرية الطويلة الشاقة . ولقد ساق القرآن الكريم ، مصدر المسلمين الاوثق ، قصة آدم في آيات كثيرة في عدة سور منها : البقرة (الآيات 30 — 39) المائدة (27 - 32) ، والاعراف (11 - 27) ، وطه (115 - 123) وص (67 - 88) كما أن احاديث قدسية ونبوية كثيرة عرضت لبعض اخباره (انظر كتاب الاحاديث القدسية - المجلس الاعلى) غير ان كثيرا من المفسرين لم يقتصر على ذلك ، بل أثقلوا تفاسيرهم حيثما عرضت لقصة آدم عليه السلام بأخبار طويلة نقلوها عن أهل الكتاب ، اشباعا للنهم العلمى ، واستكمالا لجوانب الصورة المتعددة وجزئياتها التى لم تذكرها المصادر الاسلامية ، وسندهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج» (رواه البخارى) . وكانت الحصىلة ترجمة طويلة لآدم نجدها في مختلف كتب «قصص الانبياء» ومصدر مادتها كتب التفسير القديمة وعلى رأسها : تفسير الثعلبى (ت 427هـ) وكتابه (العرائس) وتفسير الخازن (ت 741هـ) ثم سائر التفاسير الاخرى على تباين فيما بينها .

هذه الترجمة الطويلة المحشوة بمختلف الاخبار ألقت ظللا معينة على تفسير الآيات الخاصة بقصة آدم في القرآن الكريم ، وقد اعتاد معظم القدماء وكثير من المحدثين سوقها دونما نقد لها او تمحيص . غير ان تاريخ الفكر الاسلامى لم يعدم رجالا تحرروا من تلك الظلال ، وتناولوا القصة تناولا فيه جدة وجراة . كان من هؤلاء الجاحظ ، والمسعودى ، والنظام العروضى ، واخوان الصفاء ، وابن خلدون من القدماء ، ومحمد اقبال ومحمد

فريد وجدى ، وعبد الكريم الخطيب وغيرهم من المحدثين . فقد تطرق هؤلاء الى مسائل حساسة مثل نظرية النشوء والارتقاء ، ورمزية بعض جزئيات القصة ، وأرضية الجنة التى أخرج منها آدم وحواء بعد ارتكاب المعصية ، وغيرها من الأمور التى يبقى باب النظر فيها مفتوحاً ، وتحديد الاشياء والحقائق نسبياً ، ويظل أمرها معلقاً ، ولايقين فى حقيقتها الا الله .

وجاء مؤلفو الموسوعات الحديثة ودوائر المعارف ، فجمعوا - على تفاوت بينهم - خلاصة ماقاله القدماء مع استئناس بما انتهى اليهم من نصوص «أصلية» عند اهل الكتاب ، تلخيصاً ومقارنة ، ومن المهم التنبيه على أن أبحاث تلك الموسوعات تحتكم الى منهج مؤلفيها وتتفاوت فيما بينها دقة وتمحيصاً واستيعاباً .

ان معلومنا اليقيني ان آدم خلق من سلالة من طين (الاعراف 12، المؤمنون 12 ، السجدة 7 ، الحجر 27 - 28) وكتاب الاحاديث القدسية (ج 1 ص 95-106) ويقول تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ، وقوله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) وفى حديث أبى موسى مما أخرجه ابوداود وصححه ابن حبان مرفوعاً (أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض ، فجاء بنوآدم على قدر الارض) . وقد تم ذلك خلال اطوار هى : التراب ، فالطين ، اللارب ، فالحمأ المسنون ، فالصلصال ، فالتسوية ، ثم نفخ الروح فيه : كن فكان بشراً سوياً . ثم ان الله علمه الاسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له سجود تكريم لاسجود عبادة ، واستجابت جموع الملائكة عدا ابليس استكبر وأبى ، فطرد من رحمة الله الى الابد ، ثم أنعم سبحانه على آدم بحواء رفيقة وزوجاً ، ثم كان انتقام ابليس ونجاحه فى اخراجهما من الجنة ليهبطا الى الارض .

قيل ان آدم أهبط فى جزيرة سيلان (سرنديب) ونزلت حواء فى مدينة جدة ، ثم التقيا فى (عرفات) واستئنفا حياتهما وصارت لهما الذرية . وكما كان آدم أول البشر كان أول الانبياء كذلك . أمره الله فأقام الكعبة ومارس مناسك الحج . وقيل ان خلق آدم كان يوم الجمعة ، وكان اخراجه من الجنة ، وكذلك يوم وفاته فى اليوم نفسه ، وقد اختلف فى مكان دفنه .

المصادر

أولا : مصادر اساسية : القرآن الكريم

- كتاب (الاحاديث القدسية - عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة 1389 - 1969) .

ثانيا : مصادر ثانوية :

1- دائرة المعارف الاسلامية (بالانجليزية) ط . بريل بليند - الطبعة الجديدة - مادة (adam) وما بها من مصادر .

- 2- دائرة المعارف الإسلامية (العربية) تعريب : الفندى وجماعة القاهرة 1933 - مادة آدم، ج ١ ص 554 - 555 وما بها من مصادر .
- 3- دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني - دار المعرفة بيروت د. ت (مادة آدم) ج ١ ص 45 - 52.
- 4- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي - دار المعرفة بيروت د. ت (مادة آدم) ج ١ ص 123 - 130.
- 5- الكليات - لابی البقاء الكفوى - تحقيق د. عدنان درويش ، ومحمد المصرى - وزارة الثقافة بدمشق 1974 (مادة آدم) .
- 6- القصص القرآني : عبد الكريم الخطيب - دار المعرفة بيروت د. ت (قصة آدم ص 355 - 395).
- 7- كتب (قصص الانبياء) المحققة والمؤلفة (مع الاحتراس لما بها من أخبار عن أهل الكتاب وأقاصيص مختلفة) .
- 8- في رحاب الإسلام : للشيخ محمد حسن آل ياسين - دار مكتبة الحياة بيروت — 1984 فصل (أصل الإنسان في القرا الكريم) ص 243 — 289.
- 9- المعجم الصوفي - د. سعاد الحكيم - بيروت 1401 — 1981 (مادة آدم) ص 53 — 60 (مع تركيز على آراء ابن عربي خاصة) .